

حدث .. في قطار سريع !

15 أكتوبر 2008

بقلم : عابدة رزق

في القطار السريع الذي يربط بين طوكيو واحدي المدن اليابانية .. عيث طفل صغير في المقعد الذي يجلس عليه .. فنظرت إليه أمه نظرة غاضبة وقالت له بحزم : ماهكذا يفعل طفل ياباني .. وانتهى الموقف بأن كف الصغير عن عبثه .. لكن الجملة التي قالتها الأم لفتت انتباه رجل مصري تصادف جلوسه أمامهما هو د . **رعوف عباس** . أستاذ التاريخ الحديث والذي رحل عن دنيانا في يونيو الماضي .

هذا المشهد مع مشاهد أخرى عديدة استقرت في ذاكرة د . **رعوف** عن الفترة التي قضاها في اليابان , حيث كان يلقي محاضرات كأستاذ زائر في احدي الجامعات هناك .. واستعرضها خلال حوار طويل شيق أجرته معه منذ نحو ثلاثة عشر عاما ونشر بجريدة الأهرام .. وتذكرته في الأسابيع الماضية حين تم علي عجل استدعاء كلمة الانتماء وكلمات أخرى كثيرة خلال الحوارات والمقالات التي انهمرت عقب حريق الشوري ومأساة الدويقة .. وتذكرت أيضا نظرة الشجن التي طلعت من عيني د . **رعوف** وهو يقول انه أدرك وهو جالس في القطار ان كلمات هذه الأم مع كلمات الأمهات الاخريات صنعت إلي جانب وسائل الاعلام والمناخ العام والتعليم هذا الانتماء الجميل الذي يكنه اليابانيون لوطنهم والذي أيقظ داخلهم روح الفريق وبها استطاعوا ان يحققوا انجازات قفزت بوطنهم من دولة علي وشك السقوط في قاع المجتمع الدولي إلي دولة علي وشك الوقوف علي قمته .. ولم تكن هناك معجزة .. بل كانت هناك أم غرست في وجدان ابنها شعورا بالفخر لكونه يابانيا فشب وهو متميم بعشق بلده .. وكان هناك مدرس رسخ هذا المعني وهو يستعرض أمام هذا الصغير دروس التاريخ في أجواء يشع فيها عبق الماضي .. بين جدران المتاحف المنتشرة في كل مكان .. داخل هذه المتاحف رأي د . **رعوف** اهتماما لا حد له بالتاريخ .. وازدادت شجونه وهو يتذكر حصص التاريخ في مدارسنا - مدارس أصحاب أرق حضارة في العالم - حيث فشلت كتب التاريخ المدرسية في توصيل رسائل الانتماء .. وحيث أخفق المدرسون في جعل التلاميذ يقعون في غرام التاريخ وهم يجلسون بين جدران فصول مزدحمة يستمعون في أجوائها الخائفة لشرح ممل من مدرس فاقد الحماس .. وحيث فات علي واضعي مادة التاريخ ادراك حقيقة مهمة هي أن التاريخ ليس مجرد تكديس مؤلم للحظات الهزائم والانتصارات .. وصعود وسقوط الأمم والأفكار والنظريات .. كما فاتهم أيضا تأمل مقولة المؤرخ واريل ديورانت : ان الذين يدرسون التاريخ لايصفته تذكيرا وتحذيرا للانسان من اعادة ارتكاب حماقاته وجرائمه وإنما أيضا بصفته مصدرا لاستخلاص العبر ولتشجيع النفوس المبدعة .. فإن الماضي يكف في نظرهم عن أن يكون باعثا علي الغم والخوف .. ويصبح عالما فسيحا لرؤية ألوف السياسيين والمخترعين والفنانين والعشاق والفلاسفة والناس العاديين وهم يواصلون الكلام والتعليم والنحت والغناء والحب .

نعود إلي الطفل الذي أختنق ملاما داخل جدران مدرسته .. لنسأل : هل سمع هذا الصغير أمه وهي تقول له : ماهكذا يفعل طفل مصري .. أو هل سمع كلمة مصر في أية عبارة تقولها وهي تراه يمزق ويحطم المقاعد في وسائل المواصلات .. أو وهو يقطف ويتلف زهور الحدائق العامة .. أو وهو يلقي ويبعثر المهملات في الطريق .. أو وهو يكتب ويشخبط علي الجدران في الشوارع .. بالطبع لم يسمع أغلب أطفال مصر , خاصة الذين يعيشون في الأحياء البسيطة والعشوائيات , هذه العبارة .. أما الأطفال الذين يعيشون في الأحياء الراقية والمنتجعات فقد يسمعون أمهاتهم وهن يقلن : ماهكذا يفعل أولاد الناس أو أولاد الأصول .. فيترسب في ذهن الصغار أن هناك أولادا لهم أصول وأولاد ليس لهم أصول .. وهنا يبدأ انفصال الفريق .. ثم نتساءل بعد ذلك : أين ذهب الانتماء؟ ولماذا لايعمل المصريون بروح الفريق؟! !

<http://www.ahram.org.eg/Index.asp?CurFN=opin4.htm&DID=9736>

<http://www.alzoa.com/docView.php?con=31&docID=79628>